- التحرير -

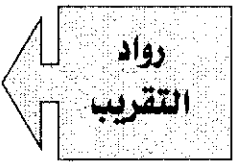

البعد التقريبي في شخصية الشهيد البنا

دفعتنا الذكرى المئوية لولادة الشهيد الكبير الاستاذ حسن البنا(١٩٠٦-٢٠٠٦) للحديث الموجز عن بعد واحد من أبعاد شخصيته الفذة المعطاء، وهو البعد التقريبي الحافل، تقديراً لدوره الكبير في مجال توحيد الامة وتعبئة طاقاتها لتحقيق النهضة الشاملة ومواجهة التحديات الخطيرة.

فقد كان (رحمه الله) احد الكبار الذين أقدموا على تأسيس (دار التقريب بين المذاهب الاسلامية) وهم نخبة من العلماء المعروفين من قبيل:

الاستاذ محمد علي علوبة باشا

والشيخ عبدالمجيد سليم - شيخ الازهر

والحاج امين الحسيني – مفتي فلسطين

والشيخ محمد عبدالفتاح العناني – عضو هيئة كبار العلماء وزعيم المالكية

والشيخ عيسى منون – عضو هيئة كبار العلماء من علماء الشافعية

والشيخ محمود شلتوت – شيخ الازهر وعالم الحنفية

والشيخ محمد تقي القمي – من علماء الامامية

والشيخ عبدالوهاب خلاف – من اكابر علماء الاصول المتأخرين

والشيخ علي الخفيف – شيخ الازهر

والشيخ علي بن اسماعيل المؤيد – من علماء الزيدية

والشيخ محمد عبداللطيف السبكي – استاذ الازهر من الحنبلية.

والشيخ محمد محمد المدني – العالم الكبير

والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء – من مراجع النجف

والسيد هبة الدين الشهرستاني – من علماء الكاظمية

والعلامة عبدالحسين شرف الدين – العالم الكبير المعروف

ان وقوف هذا الاستاذ الى جانب هذه الكوكبة الطليعية يعبر اعظم تعبير عن جرأته وشجاعته وبعد نظرته التقريبية وقد تجلى هذا البعد في النظام الاساسي لهذه الجماعة وخصوصا في المادة الثانية التي تحدثت عن اهداف الجمعية قائلة:

تستهدف هذه الهيئة مايلي:

١- السعي لتحقيق الارضية المناسبة للوحدة والتضامن بين المذاهب الاسلامية المختلفة ذلك ان الرؤى التي لاترتبط بالاصول الاسلامية العامة قد فرقت بين المسلمين.

٢- نشر العقائد والقوانين الاسلامية العامة باللغات المختلفة وتوضيح احتياج المجتمع لها في مقام العمل.

٣- السعي لحل النزاعات بين شعبين او طائفتين اسلاميتين وتحقيق التقريب والتضامن بينهما.

ورغم ان المرحوم البنا لم يكن من علماء الازهر الا أنه كان ذا شخصية حركية رائعة تترك تأثيرها بسرعة هائلة على الآخرين ونجد نموذجا لذلك في حديث الشيخ القمي عن ذكرياته مع جماعة التقريب حيث يقف طويلا عند الشيخ حسن البنا، حين يذكره يسري الى جسده نوع من النشاط والحيوية في الكلام كأن نشاط الشيخ البنا يسري الى جسده. لم يكن حسن البنا

عالما أزهريا ولم تكن له علاقات مع شيوخ الازهر، لكنه كان جبلا شامخا في همومه وتحركه ونشاطه وتخطيطه واخلاصه. بهذه الصفات الكبيرة اخترق اوساط الشباب الجامعي وربى جيلا تقيا ورعا مجاهدا مثقفا ثقافة اسلامية واعية صحيحة. كان يحمل هم التقريب بين مذاهب المسلمين انطلاقا من هدفه الذي كان يعيشه بكل وجوده، وهو عودة الامة المسلمة الى عزتها وكرامتها ومكانتها على الساحة التاريخية. روحه التقريبية هذه سرت الى جماعة (الاخوان المسلمين) التي أسسها ورعاها واشرف على مسيرتها. وآثاره لاتزال حتى اليوم موجودة بين جماعات الاخوان المسلمين. فهي الجماعة السلفية الوحيدة التي ترفض التعصب الطائفي وتقيم علاقاتها على اساس الاسلام وحده لا المذهب، ولاتعير اهمية للخلافات المذهبية[1].

وقد ذكر الاستاذ آذرشب ان الشيخ البنا كان من الاوائل في هذه الجماعة ومن المهتمين بدفع مسيرة الدار واضاف: وكان الحديث في الايام الاولى لتشكيل الجماعة يدور عن اسم للمؤسسة التي يهم الشيخ القمي بانشائها، هل تحمل اسم الوحدة، أو التعارف، أو التعاضد أو ... ؟ غير أن الشيخ حسن البنا اقترح اسم التقريب لأنه أقرب الى التعبير عن أهداف الجماعة . وحملت الجماعة والدار اسم التقريب، بناء على اقتراح هذا الشيخ التقي المجاهد.

صحيفة البنا تتبنى التقريب

لابأس أن نذكر أن الشيخ كان مهتما أن ينشر في صحيفته ما يقرب بين أهل السنة والشيعة، وكان يتعاون مع دار التقريب في إيصال صوتها الى السعودية التي حظرت هذا الصوت آنذاك. ولا بأس أن نذكر احدى ذكريات الشيخ القمي في هذا المجال.

بعد حادثة اعدام السيد ابو طالب اليزدي في الحجاز انقطع سفر الايرانيين الى الحج لسنوات، ثم عاد حج الايرانيين، وعمدت دار التقريب الى نشر مناسك

الحج على المذاهب الخمسة اي مذاهب اهل السنة الاربعة ومذهب الشيعة الامامية، من اجل ازالة ما علق في الاذهان تجاه الشيعة اثر التشويش الذي حدث بعد اعدام السيد الايراني وخلال سنوات انقطاع الايرانيين عن الحج. هذه المناسك توضح بمالايقبل الشك ان السنة والشيعة متفقان في معظم مناسك الحج ان لم يكن كلها.

ما كان بالامكان ادخال هذه المناسك الى السعودية لتوزيعها في موسم الحج، لان التعليمات هناك لم تسمح بذلك آنئذ.

الشيخ حسن البنا وجد الطريق الى ذلك، فطبع كل هذه المناسك في صحيفته، وادخلها في موسم الحج الى السعودية، وتوزعت بين الحجاج وكان لها ابلغ الاثر بين المسلمين.

وفي تلك السنة حج الشيخ حسن البنا، والتقى في ايام الحج بالعالم المجاهد آية الله ابو القاسم الكاشاني الزعيم الديني لحركة تأميم النفط في ايران[٢].

وقد نقل العلامة السيد هادي الخسروشاهي أن بعض العلماء الكبار في ايران كانوا ينظرون الى خطوات المرحوم البنا العملية بكل تقدير فقد حضر عام ١٣٧٥هـ.ق في مجلس آية الله السيد رضا الصدر – وهو احد كبار العلماء – فرآه يتحدث عن الاسرار الاجتماعية للحج مركزاً على قضية الوحدة الاسلامية وتحدث بالمناسبة عن دور المرحوم البنا في سفره الى الحج في مجال تعريف المصريين بحقيقة الشيعة واعترض على ما كانوا يلاقونه من نظرات مشككة فيهم مؤكدا على اسلاميتهم. وهنا التفت المرحوم الصدر الى الحاضرين ليقول لهم: لابد وانكم تعرفون الشيخ حسن البنا انه البطل الصامد انه القائد العالمي الخالد للاخوان المسلمين[٣].

وهكذا كان يتطابق في نظره وعمله في زمن التشكيك والتكفير والتفسيق مما يعني الكثير من الشجاعة والاقدام.

وقد سرت هذه الروح التقريبية في اوصال هذه الحركة وانتشرت بانتشارها

العالمي فقد كان من مبادئها الابتعاد عن الجدل المذهبي - الطائفي[٤] فكان الاخوان يلتزمون دائما بروح الاسلام ولاينحصرون في مذهب واحد ويبتعدون عن الخلافات الفرعية ويحذرون الآخرين من الدخول فيها بل اعتبروها - كما هو الحق - متنفسا طبيعيا للمسيرة ومظهرا من مظاهر المرونة الاسلامية والاجتهاد[٥].

وقد اكد هذا المنحى القادة الذين واصلوا دربه فهذا المرحوم مصطفى مشهور يقول في رسالة له للسيد الخسروشاهي:

فان دعوة الاخوان المسلمين منذ نشأت على يد المرشد الاول الامام حسن البنا هي دعوة تدعو الى وحدة المسلمين جميعا على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم الدينية والفكرية لان المسلمين ذلوا وهانوا امام اعدائهم بسبب الفرقة والتنازع والاختلاف المفضي الى الكراهية والبغضاء.

يقول ربنا سبحانه وتعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا) ويقول سبحانه: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم).

والاساس الفكري لذلك لدينا تجده في ركن الفهم والاصول العشرين، فالقرآن الكريم والسنة المطهرة هما المصدران للتشريع.

لانكفّر مسلما اقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، ما لم يأت بعمل من اعمال الكفر. وكذلك المقولة التي اشتهرت وذاعت حتى عرفت بالقاعدة الذهبية: (نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه). والمعنى واضح فالاتفاق يكون عادة في الاصول والاختلاف في الفروع.

والامام الشهيد حسن البنا عليه رحمة الله كان مهموما بهذا الامر في اقواله وافعاله: فلقد شاهدت صورة له في عام ١٣٢٥هـ مع كبار العلماء في عصره منهم الشيخ عبدالمجيد سليم شيخ الازهر في ذلك الوقت وسماحة الشيخ امين الحسيني مفتي فلسطين ومحمد التقي القمي وآخرين وآخرين في اجتماع في

دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وعلاقة الاخوان المسلمين العملية بالشيعة في ايران وغيرها منذ خمسينات هذا القرن وبعد قيام الثورة الايرانية تشهد بذلك.

ان المسلمين احوج ما يكونون الى لمّ صفهم وجمع كلمتهم وكفاهم الفرقة التي مكنت لاعدائهم منهم واوهنت قواهم. ان الخلافات بين السنة والشيعة الزيدية او الاثني عشرية لاتتجاوز بعض الفروع فالكل يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان القرآن الكريم هو المصدر الاول للتشريع والسنة المطهرة هي المصدر الثاني والكل يتجه الى قبلة واحدة. ان الدين لايخضع لاهواء العامة. وقد آن الأوان ان تخمد هذه الفتن وينطفىء لهيبها. هذا وبالله التوفيق.

مصطفى مشهور ٢٧ رجب ١٤٢٣هـ القاهرة

وهذا النفس التقريبي يشيع في كتابات المرحوم الداعية الكبير الشيخ الغزالي والمرحوم حسن الهضيبي والشيخ عمر التلمساني والشيخ سيد قطب والشيخ الترابي والشيخ محمد حامد ابو النصر والشيخ مأمون الهضيبي والشيخ العلامة القرضاوي والاستاذ محمد مهدي عاكف وغيرهم.

ولعل هذه الروح هي من اعظم العوامل التي قربت الحركة الى الثورة الاسلامية الكبرى التي قادها الامام الخميني الراحل، والحديث في هذا المجال يطول لو أردنا التفصيل.

ومن هنا كان الاعتدال والوسطية من اكبر السمات التي اتصفت بها حركة (الاخوان المسلمين).

يقول الاستاذ محمود عبدالحليم في دراسته عنهم (وقد يكون من اعظم انجاز الاخوان المسلمين انهم استطاعوا ان يحفظوا للفكرة الاسلامية وسطيتها دون انحراف او انجراف وسط تيارات عاتية من طبائع شائعة واهواء جامحة

وظروف قاسية)[٦].

ونكاد نلمح هذا المعنى في معظم كتاباتهم وتستند ادبياتهم الى الكتب المتداولة عند الشيعة بشكل اكثر من غيرهم من مثل (نهج البلاغة) الذي جمع فيه الشريف الرضي شذرات رائعة من كلمات امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، يقول الاستاذ عبدالحليم مثلا حين عرضه لرسالة الامام علي(ع) الى مالك بن الحارث الاشتر بالولاية على مصر يقول:

(ويعد هذا الكتاب احدى الوثائق التاريخية، بل احدى الذخائر النادرة، التي لم يجد الدهر بمثلها، ولا تفتقت اذهان علماء الادارة المتخصصين حتى اليوم عن شيء يقارنها او يدانيها)[٧].

وقد اصاب في كلامه هذا كبد الحقيقة.

كل ذلك كان من تأثير كلمات الامام البنا الرصينة وتوجهاته الرائعة ودعوته الواضحة الى الانفتاح على الامة بمجموعها وقد واجه في ذلك معارضة شديدة من المتزمتين السلفيين من جهة والمتصوفة المتطرفين من جهة اخرى لان دعوته سلكت مسلكا واقعيا وسطا؛ فقد كتب (رحمه الله) في مجلة (الاخوان المسلمين) في اواسط الثلاثينات من القرن الماضي مقالا رسم فيه مربعا كبيرا كتب على حوافه الاربع من الداخل (لا اله الا الله محمد رسول الله) ورسم في مركز هذا المربع مربعا صغيرا.

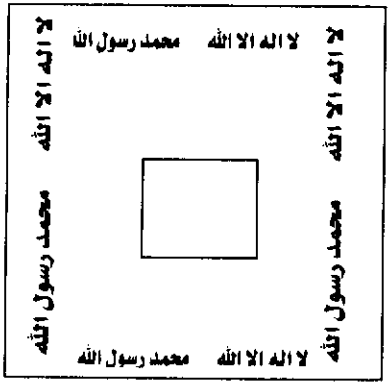

وكتب يقول ان اخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم في المربع الصغير الذي يقع في مركز الدائرة وهم بذلك يقصرونها على الذين اكتمل فيهم كل ما يرون انه العقيدة الصحيحة.. وهذا عدد ضئيل، اما نحن فنتوجه بالدعوة الى كل من يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مهما كان مقصرا فيما سوى ذلك من تعاليم الاسلام وافكاره. وكل ما نطالبه به ان يرتبط معنا برباط الاخوة الاسلامية للعمل على استعادة مجد الاسلام، وهذه الدعوى غير المشروطة بشيء الا بالاقرار بالشهادتين يستجيب لها طوائف على درجات متفاوتة من الايمان بالتعاليم الاسلامية والعمل بها)[٨].

وبطبيعة الحال فهو يعتبر ذلك مسارا للهداية ونشر العمل بالاسلام بكامله في المجتمع ولايغلق مطلقا – كما هو الواقع – الحوار العلمي الهادىء في المجال الفقهي والاصولي، وكذلك المجال العقائدي والتاريخي. فكل ذلك امر مقبول ولكن في اطار الشهادتين والايمان باركان الايمان والاسلام فرحمه الله وجزاه خير الجزاء ونحن من جديد نحيي روحه الطاهرة وفكره البناء في ذكراه المئوية راجين ان يتجه المسلمون جميعا للعمل على تحقيق الوحدة الاسلامية التي ما لم نحققها فاننا لن نحظى بالتحلي بالخصائص القرآنية لهذه الامة.

الهوامش:

١- ملف التقريب للأستاذ الدكتور محمدعلي آذرشب ص ١٣٧.

٢- ن. م ص ١٣٨.

٣- سند مخطوط.

٤- من خطب حسن البنا ص ١٨ – ٢٠.

٥- دعوتنا ص ٤٣.

٦- الاخوان المسلمون رؤية من الداخل الجزء الثالث ص ٥٨١.

٧- ن. م ج ٢ ص ٢٩٢.

٨- ن. م ج ٢ ص ٣٥٥.